و (مثل القوم) فاعل (بئس) . وأفنى هذا الفاعل عن ذكر المخصوص بالذم لحصول العلم بأن المذموم هو حال القوم المكذبين فلم يسلك في هذا التركيب طريق الإيهام على شرط التفسير لأنه قد سبقه ما بينه بالمثل المذكور قبله في قوله (كمثل الحمار يحمل أسفارا) . فصار إعادة لفظ المثل ثقيلا في الكلام أكثر من ثلاث مرات . وهذا من تفننات القرآن . و (الذين كذبوا) صفة (القوم) .

وجملة (وا لا يهدي القوم الظالمين) تذييل إخبارا عنهم بأن سوء حالهم لا يرجى لهم منه انفكاك لأن ا حرمهم اللطف والعناية بإنقاذهم لظلمهم بالاعتداء على الرسول A بالتكذيب دون نظر وعلى آيات ا بالجحد دون تدبر .

قال في الكشاف : " وعن بعضهم قد أبطل ا قول اليهود في ثلاث " أي آيات من هذه السورة : افتخروا بأنهم أولياء ا وأحباؤه فكذبهم في قوله (فتمنوا الموت إن كنتم صادقين) . وبأنهم أهل الكتاب والعرب لا كتاب لهم فشبههم بالحمار يحمل أسفارا وبالسبت وأنه ليس للمسلمين مثله فشرع ا لهم الجمعة .

(قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين [6]) أعقب تمثيل حال جهلهم بالتوراة بذكر زعم من آثار جهلهم بها إبطالا لمفخرة مزعومة عندهم أنهم أولياء ا وبقية الناس ليسوا مثلهم . وذلك أصل كانوا يجعلونه حجة على أن شؤونهم أفضل من شؤون غيرهم . ومن ذلك أنهم كانوا يفتخرون بأن ا جعل لهم السبت أفضل أيام الأسبوع وأنه ليس للأميين مثله فلما جعل ا الجمعة للمسلمين اغتاظوا وفي الكشاف " افتخر اليهود بالسبت وأنه للمسلمين مثله فشرع ا لهم الجمعة " .

وافتتح بفعل (قل) للاهتمام .

قوله عند يهودا اليهود تسمية وجه وتقدم يهودا كانوا الذين هم : (هادوا الذين) و A E تعالى (إن الذين آمنوا والذين هادوا) في سورة البقرة . ويجوز أن يكون (هادوا) بمعنى تابوا لقول موسى عليه السلام بعد أن أخذتهم الرجفة : (إنا هدنا إليك) كما تقدم في سورة الأعراف . وأشهر وصف بني إسرائيل في القرآن بأنهم هود جمع هائد مثل قعود جمع قاعد . وأصل هود هوود وقد تنوسي منه هذا المعنى وصار علما بالغلبة على بني إسرائيل فنودوا به هنا بهذا الاعتبار لأن المقام ليس مقام ثناء عليهم أو هو تهكم .

وجيء ب (إن) الشرطية التي الأصل فيها عدم الجزم بوقوع الشرط مع أن الشرط هنا محقق الوقوع إذ قد اشتهروا بهذا الزعم وحكاه القرآن عنهم في سورة العقود (وقالت اليهود

والنصارى نحن أبناء ا وأحباؤه) للإشارة إلى أن زعمهم هذا لما كان باطلا بالدلائل كان بمنزلة الشيء الذي يفرض وقوعه كما يفرض المستبعد وكأنه ليس واقعا على طريقة قوله تعالى (أفنضرب عنكم الذكر صفحا إن كنتم قوما مسرفين) ويفيد ذلك توبيخا بطريق الكناية .

والمعنى : إن كنتم صادقين في زعمكم فتمنوا الموت . وهذا إلجاء لهم حتى يلزمهم ثبوت شكهم فيما زعموه .

والأمر في قوله (فتمنوا) مستعمل في التعجيز : كناية عن التكذيب مثل قوله تعالى (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين) .

ووجه الملازمة بين الشرط وجوابه أن الموت رجوع الإنسان بروحه إلى حياة أبدية تظهر فيها آثار رضى ا عن العبد أو غضبه ليجزيه على حسب فعله .

والنتيجة الحاصلة من هذا الشرط تحصل أنهم مثل جميع الناس في الحياتين الدنيا والآخرة وآثارهما واختلاف أحوال أهلهما فيعلم من ذلك أنهم ليسوا أفضل من الناس . وهذا ما دل عليه قوله تعالى (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء ا وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق) .

وبهذا يندفع ما قد يعرض للناظر في هذه الآية من المعارضة بينها وبين ما جاء في الأخبار الصحيحة من النهي عن تمني الموت . وما روي أن النبي A قال : " من أحب لقاء ا أحب ا لقاءه ومن كره لقاء ا كره ا لقاءه " فقالت عائشة : " إنا نكرة الموت فقال لها ليس ذلك " الحديث . وما روي عنه أنه قال : " أرسل ملك الموت إلى موسى فلما جاءه صكه فرجع إلى ربه فقال أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت) إلى قوله (قال موسى فالآن) .

ذلك أن شأن المؤمنين أن يكونوا بين الرجاء والخوف من ا وليسوا يتوهمون أن الفوز مضمون لهم كما توهم اليهود